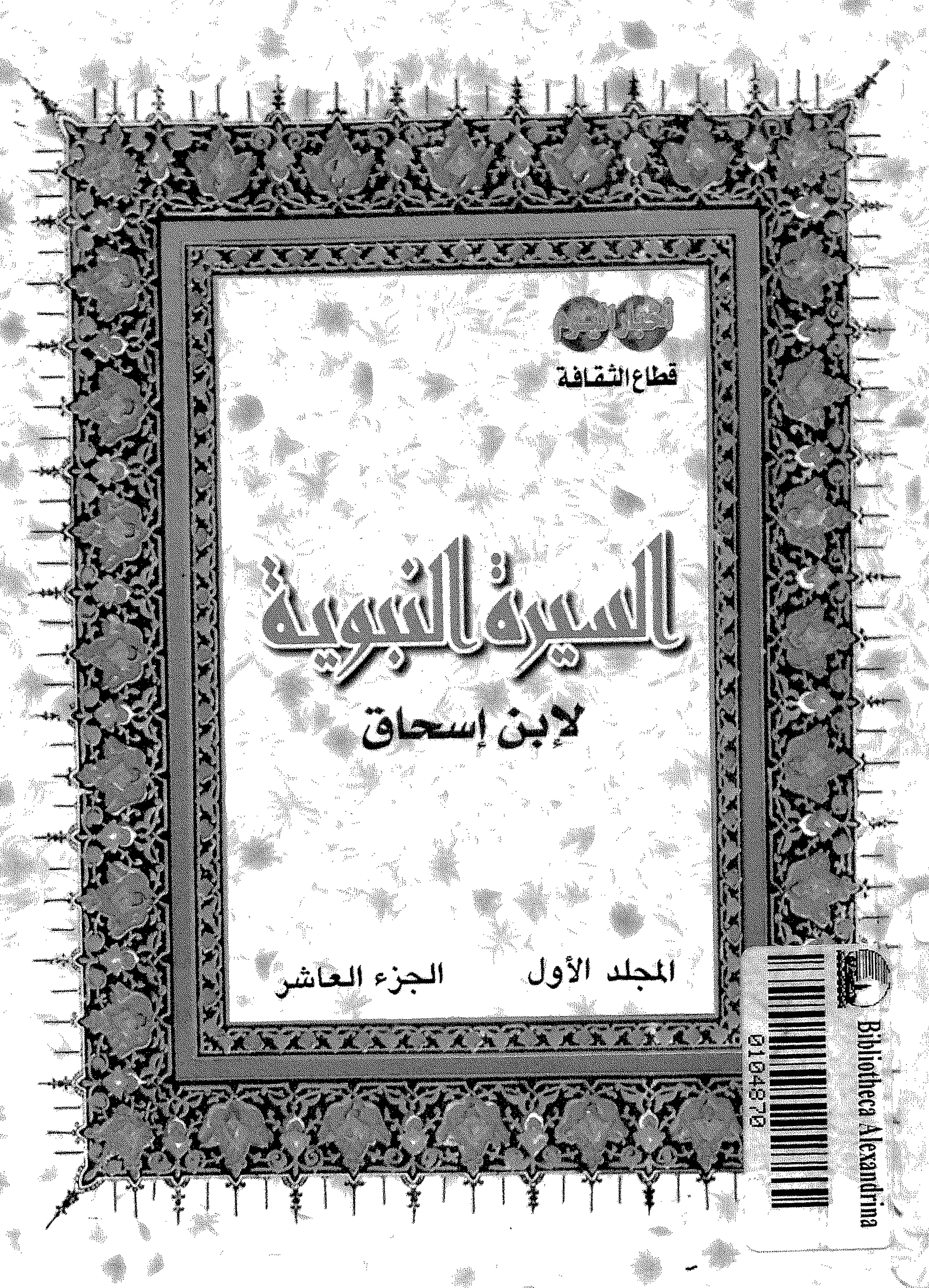

قطاع الثقافة
السيرة النبوية
لابن إسحاق
المجلد الأول
الجزء العاشر

أسيافنا لم تغن شيئًا ، فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم تبق حولنا حصن إلا أوقدت [١] عليه النار فوضعته[٢] فى ثنته [٣] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ فجرح فى رأسه أو فى رجله أصابه بعض أسيافنا ، قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا [٤] فى حرة العريض [٥] وقد أبطأ عنا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل [٦] على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلي أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود تبعتنا [٧] ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

* أمر محيصة وحويصة :

وقال رسول الله ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود على أبى سنينة [٨] ، رجل من تجار يهود ، وكان يلابسهم ويبايعهم فقتله ، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم فقال لمحيصة ، وكان أسن منه [٩] ، لما قتله ، وجعل يبصره [١٠] : يا عدو الله أقتلته أما والله لَرُبَّ شحم فى بطنك من ماله ! فقال محيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت

---

(١) عند ابن هشام : « إلاَّ قد أوقدت » .

(٢) أى وضعت المغول (الحديدة) .

(٣) أى ما بين السرة والعانة .

(٤) أى ارتفعنا .

(٥) فى ضواحى المدينة وهى أرض ذات حجارة سوداء .

(٦) أى بصق بصقا خفيفاً .

(٧) أى طلبنا لهم .

(٨) كذا عند ابن هشام .

(٩) أى أكبر منه .

(١٠) عند ابن هشام : « فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله » .

عنقك قال : فقال : والله إن دينًا بلغ بك هذا لدين له شأن ، انطلق إلى صاحبك حتى أسمع منه ، فانطلق إلى رسول الله ﷺ عليه ، فكان أول إسلام حُوَيصة فقال مُحيِّصَة :

يَلومُ ابن أُمِّى لَو أَمـــــرتُ بِقَتْله لَطبقـــتُ ذَفْراه بأبيــضَ قَاضِبِ
حُسام [١] كَلونُ الملح اخْلَصَ صِقْلهُ مَتى مَا أصـــــوبه فَليسَ بكاذبِ
وَما سَـــــرَّنى أَنِّى قَتَلْتُكَ طَائِعاً وأن لنا مـــا بين بُصـــرى فمأربِ

وقال على بن أبى طالب ﷺ فى قتل ابن الأشرف :

عَرفتُ وَمَنْ يعتدل يَعْرِف وأيقنـــــت حقًّا فلم أَصْدِف
عن الكَلم المحكمات التى مِـــنَ الله ذِى الرَّأفَة الأرأَف
رَسائلُ تُدرَس فى المؤمنينَ بِهن اصطــفَى أحمد المصطفى
فَأصبح أحمدُ فِينا عَزيزًا عَزِيز المقـــــــامَة والموقف
فَيا أيها الموعدوه سَفاهًا ولم يأت حُوبًا [٢] ولَم يعنف
أَلستُم تَخافون أدنى العذابِ وَما آمـــــنِ الله كالأخوف
وَأن تَصْرعُوا تحتَ أَسْيَافه كَمصرع كَعب أَبِـــى الأشرف
غَداةَ رَأى اللهُ طُغْيَـــــانَهُ فَأعْرضَ كالجَمـــــلِ الأجْنَفِ
فَأنزل جبريلُ فى قَتله بوَحْىٍ إلـــــى عَبْده مُلْطف
فَدس الرسول رَسولاً إليهِ بأبيـــــض ذى هبَّة مُرْهَف
فَبَاتتْ لـــــه عُيون مغولا ت ومنْ دَمْعِ كَعْبٍ لَها تَذْرف
فَقُلنا لأحمدَ ذَرنا قليلاً فَإنَا مِنَ القـــوم لَم نُشْتَف
فَأجْلاَهم ثم قـــال اظعَنُوا دُحُوراً علـــى رَغْم الآنف
فَأجلى النَّضيرَ إلــــى غُرْبَةٍ وكانوا بـــدار ذَوى زُخرف
إلى أذْرُعَاتٍ رَد أفاوهــــم على كـــلِ ذِى دَبَر أعجف

وكانت إقامة رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان ورمضان وغزته قريش غزوة أُحد فى شوَّال سنة ثلاث .

* * *

(١) من أسماء السيف : حسام : أى سيف بتار قاطع . (٢) أى إثما .

غَزْوَةُ أُحُد (١)

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النّفيلى عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : وكان من حديث أُحد كما حدثنى محمد بن مُسلم بن عُبيد الله الزُّهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة والحُصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلٌّ قد حدثنى بعض الحديث عن يوم أُحد ، فاجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد ، قال : لما أصيبت قريش ؛ أو من قاتله منهم ببدر وأصحابُ القليب من كفار قريش ؛ فرجع فلُّهم (٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره (٣) مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أُمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر وكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير تجارة فقالوا : يا معاشر قريش إن محمداً قد وتركم (٤) وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصاب منا ، ففيهم فيما ذكرلى بعض أهل العلم أنزل الله : ﴿ **إن الذين كفروا يُنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ (٥) .

فلما فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب تلك العير أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها (٦) ومن أطاعهم من قبائل بنى كنانة وأهل تهامة ، كل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله ﷺ . وكان أبو عزيز بن عمرو بن عبد الله الجُمحى (٧) قد منَّ عليه رسول الله ﷺ وعاهده أن لا يظاهر عليه ، فأجمعت

---

(١) كانت غزوة أُحد فى السنة الثالثة من الهجرة فى شهر شوَّال .

(٢) أى من بقى منهم من المنهزمين .

(٣) زيادة من عند ابن هشام .

(٤) أى قتل أهلكم وأحبابكم .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٣٦ .

(٦) أى من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٧) عند ابن هشام : « أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى » .

قريش السير إلى أُحد ، قال صفوان بن أُمية : يا أبا عزيز إنك امرؤ شاعر فأعنَّا بلسانك واخرج معنا ، فقال : إن محمدًا قد منَّ علىَّ ، ولا أريد أن أظاهر عليه أحدًا ، قال : بلى فأعنَّا بنفسك ، فلك إن رجعت أن أغنيك ، فإن أُصبت أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويسر ، فخرج أبو عزيز يسير فى تهامة يدعو بنى كنانة يقول :

يا بَنى عَبد مَناة الرزَّام [١] أَنْتُم بَنُو الحرب ضَرَّابُو الهَامْ
أَنْتُم حُمَاةُ وَأَبوكُمُ حَـام لاَ تَعْدُونى نَصْرَكم بعـد العَامْ
لا تسلمونى لا يحل إسلام [٢]

* جُبير بن مُطعم يحرض وحشيًّا على قتل حمزة :

ثم دعا جُبير بن مُطْعم بن عدى بن نوفل غلامًا له [٣] يقال له وحشى ، وكان حبشيًا يضرب بحربة له قذف الحبشة قلَّ ما يخطىء بها [٤] فقال : اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد - يعنى حمزة - بعمى طُعيمة بن عدى فأنت عتيق - وكان طعيمة ممن قتل الله يوم بدر - فخرجت قريش بحدِّها وحديدها وأجابيشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن [٥] التماس الحفيظة لئلا يفروا ، فخرج أبو سفيان وهو قائد الناس معه بهند ابنة عُتبة بن ربيعة [٦] ، وخرج صفوان بن أُميَّة بن خلف ببرزة ابنة مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية وهى أم عبد الله بن صَفوان ؛ وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبِّه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وكانت هند بنت عُتبة كلما مرت بوحشى أو مرَّ بها قالت : أبا دسـمة اشف

---

(١) عند ابن هشام « الرزَّام » وهى جمع رازم وهو الذى يثبت فى الحرب ولا يفر .

(٢) اختلف ترتيب الأبيات عند ابن هشام عما جاء هنا .

(٣) أى عبدًا له .

(٤) دليل على قوته وجلده وبسالته .

(٥) أى بالنساء فى الهوادج ، وكان ذلك من عادة العرب أن يخرجوا معهم النساء حتى لا يهابوا المعركة ولكى يستميتوا فى القتال حتى لا تسبى نساؤهم .

(٦) زوجته ، وكانت تحرض المشركين هى والنساء معها على الاستماتة فى قتال المسلمين .

واشتف (١) ، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مما يلى المدينة (٢) . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إنى قد رأيت نفرًا (٣) ، ورأيت فى ذباب سيفى ثلمًا (٤) ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فتأولتها (٥) المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها .

* الرسول ﷺ يشاور المسلمين فى الخروج وانخذال المنافقين :

ونزلت قريش منزلها بأُحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم ، ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحد ، فالتقوا يوم السبت فى النصف من شوال سنة ثلاث ، وكان رأى عبد الله بن أُبَى بن سلول مع رسول الله ﷺ يرى رأيه فى ذلك « ألاَّ يخرج إليهم » ، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ، ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد ، وغيرهم ممن كان فاتته بدر وحضروه : يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم أو ضعفنا ، قال عبد الله بن أُبَى ابن سلول : يا رسول الله أقم بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا ، وإن دخلوها قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم فلم يزل الناس برسول الله ﷺ ، الذين كان من أمرهم حب لقاء الله ، حتى دخل

---

(١) أبا دسمة هى كنية وحشى ، والمقصود بقول : اشف أى اشف غليلى وغيظى بقتل حمزة واشتف حتى تعتق وتكون حرًّا ، وذلك أن مطعم بن جبير وعده أن يعتقه إذا قتل حمزة عم الرسول ﷺ ووعدته هند أن تعطيه قرطها وقلائدها فلذلك قالت له : اشف واشتف مثل قول العامة الآن : نفع واستنفع .

(٢) مكان يسمى عينيز مقابل المدينة .

(٣) عند ابن هشام : « رأيت بقرًا » وذكر تفسير الرسول ﷺ لها أن البقر : ناس من الصحابة يقتلون ، والثلم : رجل من أهل بيت الرسول ﷺ يقتل . وقد حدث الاثنان - استشهد عدد من المسلمين ، وحمزة رضى الله عنهم .

(٤) ثلم السيف : أى صيره غير ماضى القطع ، انظر المعجم الوجيز ص ٨٧ .

(٥) عند ابن هشام : « فأوَّلتها » .

رسول الله ﷺ بيته فلبس لأمتهُ [١] ، وذلك؛ يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بنى النجار ، فصلى عليه رسول الله ثم خرج وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا [٢] رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ، اقعد ، ولم يكن لنا ذلك صلى الله عليك ، فقال : رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما ينبغى إذا النبى لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله فى ألف من أصحابه [٣] حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأُحد انخذل عنه عبد الله بن أُبى ابن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، والله ما ندرى على ما نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ، ثم رجع معه من قومه من أهل النفاق وأهل الرِّيَب [٤] ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام أخو بنى سَلَمَة [٥] يقول : يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون ، فقال فلما استصعبوا عليه وأبَوا إلاَّ الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم ، ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه [٦] فأصاب كلاَّب سيف فاستله [٧] فقال رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ولا يعتا [٨] ، لصاحب السيف : شم [٩] سيفك فإنى أرى أن السيوف ستسل اليوم ، ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب – أى قريب – من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثمة ، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أموالهم حتى يسلك به

---

(١) أى عدة الحرب .
(٢) أى ألححنا عليه حتى خرج وهو كاره الخروج – وليس هذا حقا .
(٣) استخلف الرسول ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس بالمدينة .
(٤) أى الشك .
(٥) كان مسلمًا ولم يكن منافقًا مثل عبد الله بن أبى ابن سلول .
(٦) أى حركه ليبعد به الذباب .
(٧) كلاَّب السيف : أى المسمار الذى فى مقبضه .
(٨) عند ابن هشام « ولا يعتاف » أى لا يتطير ولا يتشاءم .
(٩) أى أدخل سيفك فى غمده .

في مال لربعى بن قيْظى (١) ، وكان رجلاً منافقًا ضرير البصر ، فلما حسّ برسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو فى وجوههم التراب وهو يقول : إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطى (٢) ، وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب بيده ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال لهم (٣) : هذا الأعمى ، أعمى القلب والبصر وقد بدر إليه سعد أخو بنى عبد الأشهل قبل نهى رسول الله ﷺ فضربه بالقوس فى رأسه ، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل بالشعب من أُحد من عدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرّحت قريش الظهر والكراع (٤) فى زروع كانت بالصمغة (٥) من قناة ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروع بنى قَيْلة (٦) ولَمَّا نضارب ؟! وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال فى سبع مائة رجل ، وتعبأت (٧) قريش وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وأمّر رسول الله ﷺ على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جُبير أخا بنى عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعلم بثياب بياض ، وقال : انضح عنا الخيل (٨) بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك (٩) ، وظاهر رسول الله عليه السلام بين درعين (١٠) ، وقال : من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وماحقه

(١) عند ابن هشام « لمربع بن قيظى » .
(٢) أى بستانى .
(٣) هنا زيادة من عند ابن هشام « لا تقتلوه » .
(٤) أى تركت إبلها وخيلها .
(٥) أرض قريبة من أُحد .
(٦) هم الأوس والخزرج ، وقد نسبوا إلى قيلة وهى من أمهات الأنصار .
(٧) تجهزت واستعدت .
(٨) أى ادفعهم عنا وارمهم .
(٩) أى لانهزم من ناحيتك وبسببك .
(١٠) أى لبس درعين أحدهما فوق الآخر .

يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به القوم حتى ينثنى ، قال : أنا آخذه يا رســول الله بحقه ، فأعطاه إيَّاه وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا عُلِّم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، فجعل يتبختر بين الصفين .

* أبو دُجانة يستعرض قوته أمام الأعداء :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسْلَم مولى عمر بن الخطاب عن رجل من الأنصار من بنى سَلَمَة قال : قال رسول الله ﷺ ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله إلاَّ فى هذا الموطن (١) .

* ما فعله أبو عامر الفاسق :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا ابن سَلَمَة عن محمد بن إســحاق قال : حدثنى عاصــم بن عمر بن قَتَادة أن أبا عامر (عبد عمرو ابن) (٢) صيفى بن مالك بن النعمان بن أمية أحد بنى ضبيعة قد كان خرج حين خرج من مكة مباعداً لرسول الله عليه السلام بخمسين غلامًا من الأوس منهم عثمان بن حُنيف ، وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر ، فكان أبو عامر يعد قريش ، أن لو قد لقى قومه لم يتخلف منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة فنادى : يا معاشر الأوس أنا أبو عامر ، فقالوا : لا نعم الله بك عينًا يا فاسق ، وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق ، فلما سمع ردهم عليه ، قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديدًا ، وأضمخهم (٣) بالحجارة ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عُتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرِّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) لإظهار القوة للكفار لكى يغيظهم ويخافوه .

(٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) عند ابن هشام « راضخهم » أى رماهم .

نحنُ بنَـــاتُ طَارقْ
إنْ تُقْبِلوا (١) نعـانِقْ
ونَفْرشُ النمـــــارِقْ
وإنْ تُدْبِروا (٢) نُفَارِقْ
فِراقٌ غَيْرُ وامِـقْ (٣)

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشة حتى أمعن فى العدو ، وحمزة ، وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسـلمين ؛ فأنزل الله نصره ، وصدقهم وعده ، فحسـوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا يشك فيها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : أنا يحيى بنُ عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عـن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال : لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة عن العسكر ، حين كشفنا القوم عنه ، يريدون النهب ، وخلوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا (٤) ، وصرخ صارخ ألا إن محمدًا قد قتل (٥) ، فانكفأنا وانكفأوا علينا ، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم ، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو (٦) ، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة ، وكان من المسلمين فى ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء ثلاثًا : فثلث قتيل ، وثلث جريح وثلث

---

(١) أى تنتصروا .

(٢) أى تنهزموا .

(٣) والمعنى إن تنتصروا نقابلكم معانقين لكم ونعد لكم الفراش أحسن الإعداد ، وإن تنهزموا نبتعد عنكم بعد الكاره غير المحب .

(٤) أى من خلفنا .

(٥) وهذا ظن ووهم من ابن قميئة الليثى ؛ لأنه قتل مصعب بن عمير الذى كان يحامى عن الرسول ﷺ ويقاتل دونه فلما قتل ظن ابن قميئة أنه الرسـول ﷺ فقال لقد قتلت محمدًا .

(٦) أى قتل من المسلمين .

منهزم ، قد لقيته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، فقُذف بالحجارة حتى وقع لشقة [١] ، وأصيبت رباعيته [٢] وشج فى وجنتيه [٣] ، وكُلمت [٤] شفتاه ، وكان الذى أصابه عُتبة بن أبى وقّاص .

* بلاء ابن السَّكن وبسالته :

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم : من يشترى [٥] لنا نفسه كما حدثنى حُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمد بن عمرو [٦] بن يزيد ابن السكن ، فقام زياد بن السَّكن فى خمسة نفر من الأنصار ، وبعض الناس يقول إنما هو عُمارة بن زياد بن السكن ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً فرجل ، فيقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن السكن أو عمارة بن زياد ، فقاتل حتى أثبتته الجراح ، ثم فاءت فئة [٧] من المسلمين فأجهضوهم [٨] عنه ، فقال رسول الله ﷺ : ادنوه منى ، فوسَّده رسول الله ﷺ على قدمه ، فمات وخده فوق قدم رسول الله ﷺ ، وترس أبو دُجانة رسول الله بنفسه يقع النبل فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله ﷺ ، قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ويقول : ارمن فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ما له من نصل فيقول ارم به .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتُها [٩] ، فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته .

---

(١) أى وقع ﷺ فى ناحية من الجبل لجنبه .
(٢) أى السن التى بين الثنية والناب ، وقد كسرت رباعيته ﷺ اليمنى السفلى .
(٣) أى جُرح فى خَدَّيه الشريفين .
(٤) أى جُرحت .
(٥) عند ابن هشام : « من يشرى » .
(٦) عند ابن هشام : « محمود بن عمرو » .
(٧) أى رجعت عليهم جماعة من المسلمين .
(٨) أى غلبوهم .
(٩) أى طرفها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ (١) ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما .

وقاتل مصعب بن عُمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل ، فكان الذى أصابه ابن قميئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش فقال : قد قتلت محمدًا ، فلما قُتل مُصعب أعطى رسول الله ﷺ علـــى بن أبى طالب اللواء ، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصى ، وكان أحد النفر الذين يحملون لواء قريش ، ثم مر به سباع بن عبد العُزّى الفيشانى وكان يكنى بأبى نيار فقال له حمزة : هلم إلىَّ يا ابن مقطِّعة البظور (٢) فضربه فكأن ما أخطأ رأسه ، وكانت أم نيار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ختَّانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، وقال وحشى غلام جبير بن مُطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه ما يُليق (٣) شيئًا مثل الجمل الأورق (٤) إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلمَّ إلىَّ يا ابن بنت مقطعة البظور فضربه فكأنَّ ما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها ذففتها عليه حتى وقعت فى ثُنَّته (٥) حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل فقلب ، فأمهلته حتى إذا ما مات جئت إليه فأخـــذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم يكن لى بشىء حاجة غيره (٦) . وقد قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح أخو بنى عمرو ابن عوف مُسافع بن طلحة وأخاه جلاسًا ، كلاهما يشعره سهمًا ، فيأتى أمه سُلافة فيضع رأسه فى حجرها ، فتقول : يا بنى ما أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رمانى يقول : خذها إليك وأنا ابن الأقلح فتقول أقلحى هو ؟ فنذرت إن الله أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد أعطى الله عهدا ألاَّ يمس مشركًا ولا يمسه أبدًا .

(١) زيادة من عند ابن هشام .

(٢) وكانت أمه تختن البنات .

(٣) أى لا يبقى أحدًا دليلا على شجاعته .

(٤) أى أغبر لما عليه من تراب المعركة .

(٥) ما بين بطنه وعانته .

(٦) فى هذا دليل على أن مهمته كانت قتل حمزة فقط .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفَيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى ابن النجار قال : انتهى أنس بن النضر - وهو عم أنس بن مالك ، وبه سمى أنس أنسًا - إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عُبيد الله ﷺ فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ قال : فما تضنون [1] بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حُميد الطويل عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ما عرفَته إلا أخته ، عرفت بنانه [2] .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال : كان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قتل رسول الله ، كما حدثنى ابن شهاب الزُّهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك أخو بنى سلمة قال : قال كعب : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إلىَّ أن أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعب ، معه : أبو بكر بن أبى قُحافة . ، وعُمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عُبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة رضى الله عنهم أجمعين ، فى رَهْط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشِّعب ، أدركه أُبى بن خلف وهو يقول : أين يا محمد أين محمد لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا ؟ فقال : دعوه فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم فيما ذكر لى . فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر [3] من ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تردى بها عن فرسه مرارًا .

---

(١) عند ابن هشام : « تصنعون » .

(٢) أى طرف إصبعه .

(٣) عند ابن هشام : « الشعراء » وهو ذباب يلدغ كالعقرب .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أُبَى بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العوز (١) أعلفه كل يوم فرقًا من ذرة أقتلك عليه فيقول : بل أنا أقتلك إن شاء الله ، فرجع إلى قريش وقد خدشه خدشًا فى عنقه غير كبير فاحتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك أن كان بك بأس ، قال : إنه قد كان قال لى بمكة : بل أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علىَّ لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف (٢) وهم قافلون (٣) به إلى مكة . فقال حسان بن ثابت فى قتل رسول الله أبيًّا وقوله له بمكة ما قال :

لقد وَرِثَ الضَّلالَة عن أَبيهِ أُبىٌّ حِينَ بَارزَهُ الرَّسولُ

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب رحمة الله عليه بالدرقة حتى ملأها ماء من المهراس (٤) . ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فوجد له ريحًا فعافه (٥) فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسول الله (٦) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقَّاص أنه كان يقول : ما حرصتُ على قتل أَحد ما حرصت على قتل عُتبة بن أبى وقَّاص (٧) ، وإن كان ما علمت لسىء الخلق مبغضًا فى قومه ولقد كفانى منه قول رسول الله : اشتد غضب الله على من دمَّى وجه رسوله ، فبينما رسول الله ﷺ فى الشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية على الجبل، فقال رسول الله :

(١) عند ابن هشام : « العوذ » اسم فرس

(٢) مكان قريب من مكة .

(٣) راجعون .

(٤) حجر فيه ماء بجوار بئر فى أُحد .

(٥) أى كرهه .

(٦) يقصد عتبة بن أبى وقاص ومن أصابه .

(٧) وذلك لأنه هو الذى جرح الرسول ﷺ فى أُحد .

إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى آهبطوهم عن الجبل ، ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد بدن (١) وظاهر رسول الله بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عُبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (عن الزبير) (٢) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول أوجب طلحة حين صنع ما صنع برسول الله ، وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنَقَّى دون الأعوص (٣) ، وفر عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار ، ثم من بنى زريق حتى بلغوا الجَلْعب جبلاً بناحية المدينة ، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله عليه السلام ، فقال رسول الله فيما زعموا لقد ذهبتم فيها عريضة .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمَة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبى عامر أخو بنى عمرو بن عوف أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة ، رآه شداد بن الأسود ، وكان يقال له ابن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضربه شداد فقتله ، فقال رسول الله إن كان صاحبكم - يعنى حَنْظلة لتغسله الملائكة (٤) فسألوا أهله ما شأنه ؟؟ فسئلت صاحبته ، فقالت : خرج وهو جُنب حين سمع الهائعة (٥) ، فقال رسول الله : لذلك غسلته الملائكة (٦) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال : قد وقفت هِنْد بنت عُتبة كما حدثنى صالح بن كيسان

(١) أى سمن جسده .
(٢) زيادة من عند ابن هشام .
(٣) موضعان قرب المدينة .
(٤) ويسمى غسيل الملائكة .
(٥) أى مُنادى الجهاد مع رسول الله ﷺ .
(٦) وكان حديث عهد بعرس ﵁ .

والنسوة الآتون معها يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجدِّعن الآذان (١) والآناف حتى اتخذت هند من أذان الرجال وآنافهم خذمـًا وقلائد ، وأعطت خذمها (٢) وقلائدها وقرطيها وحشيًّا غـلام جُبير بن مُطْعِم ، وبقـرت عن كبد جمزة (٣) ، فلاكتها (٤) فلم تستطع أن تسيغها ، ثم علت على صخرة فصرخت بأعلى صوتها وقالت ، من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ :

نَحنُ جزيناكم بيومِ بَدْر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فقالت :

خَزيتِ فى بدر وبعد بدرِ

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف علا الجبل ثم صرخ بأعلى صوته :

أنْعَمت فَعَـالْ   إن الحَرْب سجَالْ

يَوْمٌ بيَوْمِ بَـدْرِ أعْلُ هُبَـلْ

أى ظهر دينك - فقال رسول الله لعمر - رحمة الله عليه قم فأجبه :

اللهُ أعْلاَ وأجـلْ لاَ سَـواء

قتـلانا فى الجنةِ وقَتْلاكُم فى النارِ

فلما أجاب أبا سفيان قال : هلم إلى يا عمر ، فقال له رسول الله : ائته فانظر ما شأنه ، فقال له أبو سُفيان : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدًا ؟ قال : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . قال فأنت والله أصدق عندى من ابن قَميئة (٥) وأبر ، لقول ابن قميئة : قتلت محمدًا ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قـتلاكم مُثْلٌ (٦) ، والله ما رضيت وما سخطتُ وما أمرتُ ولا نهيتُ ، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه :

---

(١) أى يقطعن آذانهم .

(٢) عند ابن هشام : « خدمها » أى خلخالها .

(٣) أى شقت بطنه وأخرجت كبده رضي الله عنه .

(٤) أى مضعتها .

(٥) ذلك المشرك الذى قتل مصعب بن عمير وظنه الرسول ﷺ .

(٦) أى تمثيل بجثث الشهداء .

قل : نعم هى بيننا وبينك موعداً ، ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال : اخرج فى إثر [(١)] القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل (فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل) [(٢)] فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم ، قال علىّ رحمة الله عليه ورضى عنه فخرجت فى إثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فلما جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة ، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرنى به رسول الله ﷺ لما بى من الفرح إذا رأيتهم انصرفوا عن المدينة [(٣)] .

* الرسول ﷺ يتفقد القتلى :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمَة عن محمد إسحاق قال : وفزع الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله كما حدثنى محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى [(٤)] صَعصعة المازنى أخو بنى النجار : مَن رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزوج فى الأحياء أو فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحًا فى القتلى ، به رمق ، فقال له : إن رسول الله أمرنى أن أنظر له في الأحياء أنت أم فى الأموات ، قال : فأنا فى الأموات فأبلغ رسول الله عنِّى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول : جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيًّا عن أُمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل : إن سعد بن ربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات رحمة الله عليه ، فجئت رسول الله فأخبرته خبره ، فخرج رسول الله - فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به وجدع أنفه وأذناه .

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّانى قال : أنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمَة

---

(١) أى تتبع خطواتهم . (٢) زيادة من عند ابن هشام .

(٣) وفى هذا أقوى دليل على أن المسلمين كانوا لا يحبون سفك الدماء ولا الحرب .

(٤) زيادة من عند ابن هشام .

عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : لولا أن تحزن صفية (١) أو تكون سنة من بعدى ما غيبته ولتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أنا أظهرنى الله على قريش فى موطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فُعل بعمه ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط .

* ما نزل من القرآن فى النهى عن المُثلة :

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرانى قال : أنا النفيلى قال : أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن محمد بن كعب القُرظِى ، وحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل فى ذلك من قول رسول الله وقول أصحابه ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ (٢) إلى آخر القصة فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى عن المثل (٣) .

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال : حدثنا النُّفيلى قال : أنا محمد بن سَلمة عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حميد الطويل عن الحسن عن سُمْرة بن جندب أنه قال : ما قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة .

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

---

(١) هى صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأخت حمزة أسد الله .

(٢) سورة النمل : الآية ١٢٦ .

(٣) أى عن المُثلة (التمثيل بجثث الموتى) وهنا تدرك مدى تمسك النبى ﷺ بأوامر الله رغم ما فعله الكفار وما أصاب الرسول ﷺ من حزن وليس بعد قول الله تعالى قول .

فهرست الموضوعات

المجلد الأول

* * *

انتهى المجلد الأول .. وإلى اللقاء
بإذن الله فى المجلد الثانى

رقم الإيداع ١٧٣٠٧/ ٩٨
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 08 - 0795 - 8


السيـرة
النبويـة